Majallah-yi Talim o Tahqiq

Markaz Talim o Tahqiq, Gulshan-e-Taleem,
Sector H-15, Islamabad, Pakistan

مجلہ تعلیم و تحقیق

مرکز تعلیم و تحقیق، گلشنِ تعلیم، ایچ۔۱۵، اسلام آباد، پاکستان

ISSN (P): 2618-1355, **ISSN (Online):** 2618-1363

Issue 4,Vol 3,October-December

شمارہ ۴، جلد ۳، اکتوبر—دسمبر

القضايا العقدية في تفسير وضاحة القرآن للشيخ سلطان محمود دراسة تحليلية منهجية

Faith Based issues in *Tafseer Wazahat ul Qur'an*: An Analytical and Methodological Study

حافظ محمد عاصم[1]

عبدالوحيد[2]

Keywords:

Al-aqeedah,
Al-mujizah,
Al-sam'iat,
Al-ta'weel
.

Receiving Date:

13 November 2021

Acceptance Date:

15 December 2021

Publication Date:

30 December 2021

Abstract:

The beliefs play basic role in the life of a person, all activates of life have a deep relations with the ideas or belief of a parson. The Noble *Qur'an* present and discuss all the valuable aspects of life and among those aspects the beliefs are so important. The *Qur'an* presented the basic beliefs in a clear way, the Noble *Qur'an* discussed these beliefs in various styles to become the understanding easy for the people. viewing to the importance of the topics related to basic beliefs, the Muslim scholars in their writings always focused on these important topics like *Tawheed , Nabuaat ,Muaad,Mujizat,Al samiat and al taweel.* (the topics related to hereafter) specially in the *Tafaseer* of *Qur'an* in various languages of the world we are finding that the Commentators have deep concern with the verses of *Qur'an* related to beliefs .one of the famous commentators of *Qur'an* in Pashtun community was *Shikh sultan Mahmood* in 14th century A.D, who given special importance to explain the verses of *aqee'dah* in so easy and clear way in his *Tafseer* "*wazahat Ul Qur'an*" to educate the people of his community . He also criticized the misconceptions and wrong explanation in this regard and tried to present the clear picture of Islamic beliefs in the light of *Qur'an*.

This Article is focusing on the analytical and research-based study of the above mentioned *Tafseer*, and the methodology of *Shikh Sultan Mahmood* in the Explanation of Verses related to the Topics of *Aqeedah*.

[1]- أستاذ محاضر، قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة (NUML)

[2]- طالب الدكتوراة،قسم الدعوة والثقافة الإسلامية،كلية أصول الدين،الجامعة الإسلامية العالمية،إسلام آباد

إن أساس الدين يبنى على العقيدة ، وللعقائد أهمية كبيرة في حياة الإنسان والقرآن الكريم يركز على الأمور العقدية كثيرا. ومن هذه العقائد معرفة الله عزوجل وبيان توحيد الألوهية والربوبية وأسماءه وصفاته ، ومعرفة ما يناقضها أو بعضها من الشرك والتعطيل والتشبيه ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. هذه العقائد هي أساس الدين، وقواعد الايمان وأركانه، وأحكام أصلية للشريعة الإسلامية التي إذا صحت صلح عمل الإنسان ويستقام أمره وينال السعادة في الدنيا والآخرة، وإذا فسدت فسد كل شيء. والقضايا العقدية تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الإلهيات، والنبوات والثالث هي السمعيات. إن معرفة هذه الأمورالعقدية شرط أساسي لكل من يريد أن يفسر القرآن ، ونجد عند المفسرين الكرام من أهل السنة والجماعة أنهم يتوجهون كثيرا ويركزون عليها في تفاسيرهم . واختاروا مناهجا خاصة لبيان وتوضيح هذه العقائد لإستفادة عامة الناس . وكما هو أمر معلوم لدى العلماء والطلاب العلوم الإسلامية أن للعلماء البشتون خدمات عظيمة في تطور علم التفسير وعلوم القرآن في لغتهم المحلية البشتو . ومن هؤلاء المفسرين الشيخ سلطان محمود صاحب تفسير وضاحة القرآن في اللغة البشتو الذي ألف تفسيره في آواخر القرن الرابع الهجري والذي اهتم ببيان تلك القضايا العقدية على منهج أهل السنة والجماعة ونقد على نظريات منحرفة عن جادة المستقيم. ففي هذا المقال قدمنا دراسة تحليلية منهجية للشيخ سلطان محمود في القضايا العقدية من خلال تفسيره وضاحة القرآن.

المفهوم و تعريف "العقيدة" لغة واصطلاحاً: ففي اللغة: "أَصلَ العَقْدِ نَقِيض الحَلِّ عَقَدَه يَعْقِده عَقْداً وتَعْقَاداً وعَقَّده وقد انْعَقد وتَعَقَّدَ ثم استُعمل في انواعِ العُقُودِ من البيوعاتِ والعُقُود وغيرها ثم استُعْمِل في التصميم والاعتقادِ الجَازِمِ" [3]. وفي الاصطلاح كما عرّفه الشيخ الجرجاني: "العقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"[4]. ليس هنا فرق بين هذين التعريفين لأن العقيدة الشيء الذي لا يقبل فيه الشك، بل هو تصديق من عميق القلب وهو الذي عرفه الشيخ الجرجاني بـ"نفس الاعتقاد".

منهج الشيخ محمود[5].في بيان المسائل تتعلق بالإلهيات:

إن الله تبارك وتعالى وصف نفسه بصفات عالية في كتابه العزيز كما وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، ويتعبد المؤمنون بالإيمان بها ويوصف الله بها ومن ينفي عنه سبحانه تعالى ما وصف به نفسه أو يشبهها

([3]) المرتضى، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، عقد،ج1،ص2126 ط: 1422هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

([4])الشريف علي بن محمد، التعريفات الجرجاني، ص: 108، ط: 1416م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

([5])هو الشيخ سلطان محمود بن الشيخ جاندار خان ، المعروف بـ"صاحب حق" و"سكندري صاحب" . ولد سنة 1315هـ الموافق 1897 م ، في قرية "يعقوبي" (يعقوبي كلے) في مديرية "صوابي" بإقليم خيبر بختونخوا. تعلم الشيخ سلطان محمود على يد أخيه الأكبر الشيخ عبدالعلي، والشيخ المفتي كفاية الله الدهلوي رحمه الله وغيره من كبار العلماء في المدرسة الأمينية في دهلي بالهند. وبعد التخرج بدأ بتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه في مسجد قريته سكندري (مردان) وأصبح بعد قليل مركزا لكثير من طلاب العلم . ومع المهارة في العلوم الشريعة كان الشيخ تاجرا ماهرا وكان له شغف مع الأمور السياسية. حتى إنتماءه السياسي إلى حزب "الرابطة الاسلامية" وله جهود جبارة لإستقلال الباكستان من الإنجليز ولتحرير المسلمين من الإستعمار الإنجليزي والهندوسي، ولتنفيذ الشريعة الإسلامية في باكستان. ثم بعد مدة قصيرة أصبح ركنا لـ"جماعة إسلامي باكستان". وكان مع هذه الجماعة إلى آخر عمره وقد جاهد بقلمه ولسانه لإصلاح المجتمع، ومن مؤلفاته الممتعة: تفسير وضاحة القرآن، وتكميل الإيمان، وضابطة الميراث، وآسانه فقه (الفقه الميسر)، في اللغة البشتو، توفي الشيخ 1400هـ، شهر يوليو1980م. سجلت هذه الامور من معلومات إبن الشيخ ، حاجي حامد في لقائي معه بتاريخ 20 من شهر أكتوبر سنة (2006 م) في " سكندري " مردان والنظر مقالتي لمزيد التفصيل بعنوان " منهج الشيخ سلطان محمود في تفسيره وضاحة القرآن" رسالة الماجستير , قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية إسلام آباد سنة 2009 م .

بصفات المخلوقين فقد كفر. ومذهب الشيخ سلطان محمود في صفات الله تعالى، هو الإثبات والتأويل وقد يفوض معناها إلى الله تعالى، ولكن هذا الجانب نادر في تفسيره، فمذهبه في الصفات هو مذهب أهل السنة والجماعة. سأذكر هذه الأمور في النكات التالية:

أولاً: إثبات الصفات الإلهية كما جاء في القرآن والسنة:

إن الشيخ يثبت في تفسيره لله تعالى من الصفات ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فمن الأمثلة: أنه يثبت صفة الحياة والسمع والعلم وغيره وذلك عند تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"[6] فقال الشيخ: "الحي القيوم، معناه هو معبودٌ حيٌ أزليٌ أبديٌ لا يأتيه الموت والفنا، وصفة الحياة لازمة بذاته، القيوم، هو المتقوم بذاته، المقوم لكل ما عداه في ماهيته ووجوده منزه عن النوم والغفلة، والله سميع عليم، سميع لكل شيء، عليم بكل شيء" [7].

وكذلك يثبت لله تعالى صفاته العليا وهي صفة الرزق والصنع والعطاء الرازق والصانع والمعطي، وذلك في تفسير قوله تعالى: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"[8]. فقال الشيخ: "الرازق، الصانع، المعطي، وغير ذلك، كلها من صفات الله الحقيقية، وينسب هذه الصفات إلى العباد على سبيل المجاز، مثلا نقول: فلان رزقني، أي ابتغى لي أسباب الرزق، ولهذا استعمل الله تعالى لنفسه يقول الله في حقه جملة "وهو خير الرازقين" [9].

ثانياً: الصفات الإلهية الخبرية :

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز صفات كثيرة وصف بها نفسه، وقد وردت كذلك في السنة النبوية، وهي صفات خبرية، وقد قال الله عزوجل: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[10]. فالله سبحانه وتعالى لا يشبه خلقه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

والمشهور أن لأهل السنة والجماعة مذهبان في هذه المسألة؛ الأول: "مذهب التفويض أي الإيمان بها كما جاءت، بلا تاويل ولا تشبيه ولا تعطيل، وتفويض علمها إلى الله كما كان نهج الصحابة والتابعين، والثاني: مذهب التأويل أي قبولها والإيمان بها وحملها على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد" [11].

([6]) القرآن 1: 255.

([7]) سلطان محمود، تفسير وضاحة القرآن، ج:1، ص: 106، 107، ط: 1980م، الناشر: حاجي خليل احمد وحاجي حامد تجار، شهيدان بازار، مردان، باكستان.

([8]) القرآن 39 :1.

([9]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 2، ص: 391.

([10]) القرآن 7: 54.

([11]) الإعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام للبيهقي، ص: 44، حديث أكادمي، فيصل آباد، باكستان. وانظر: البغدادي، أبي منصور، كتاب أُصول الدين، ص: 109-113، ط.3: 1401هـ-1981م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ومنهج الشيخ في هذا الجانب أنه يفوض أحيانا معنى هذه الصفات الخبرية إلى الله تعالى، وأحيانا يؤولها ، فمنهجه بين التفويض والتأويل.

منهج الشيخ في التفويض: يثبت الشيخ لله تعالى صفة الإتيان يوم القيامة ونزوله ويفوض معناها إلى الله تعالى، وذلك عند قول الله عزوجل: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ"[12]. قال الشيخ في تفسيره: "أو يأتي ربك" إطلاق هذه الأفعال جائز في حق الله مثل لقاءنا مع الله يوم القيامة وكذلك إتيانه ونزوله في عقيدة أهل السنة والجماعة، مع الاعتراف بأننا لا نعلم كيفيتها. وإتيانه منزه عن الحركة والإنتقال الجسماني، قال الإمام القرطبي: "ليس مجيئه تعالى حركة ولا انتقالا ولا زوالا، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسما أو جوهرا .والذي عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة انهم يقولون يجيء وينزل ويأتي ولا يكيفون"، ذكر الشيخ سلطان محمود رأي بعض المفسرين في تأويله فقال: "يأتي أمره يعني عذابه" [13].

ظهر من قول الشيخ بأنه نقل أقوال العلماء في هذه المسألة، ولكنه لم يقم بترجمة قول الإمام القرطبي إلى اللغة البشتو، ثم نقل القول الثاني بدون ذكرمصدره ولا اسم قائليه، ثم رأينا أن المؤلف لا يقوم بالترجيح ظاهرا بين هذه الأقوال ويظهر من أسلوبه أنه قد يفوض معنى قوله تعالى "أو ياتي ربك" فيرجح القول الأول، لأن منهجه العام الذي يسير عليه في أكثر المواضع أنه يرد الاقوال المرجوحة صراحة، وكذلك طريقته أنه يذكر قول الراجح أولا، ثم يشير بالإختصار إلى القول المرجوح عنده.

منهج الشيخ سلطان محمود في التأويل: الشيخ انتهج في تفسيره كثيرا في بعض آيات الصفات نهج المتأخرين فيؤول بعض الصفات لله عز وجل في تفسيره مثلاً: استوائه على العرش وصفة العين والوجه واليد وغير ذلك. فمن الأمثلة على هذا من تفسير وضاحة القرآن ليتضح لنا منهج الشيخ في هذا الجانب كما يأتي:

يؤول الشيخ صفة الاستواء في قول الله تعالى "استوى على العرش" ولكن قبل دخوله في البحث الأساسي يتأول كلمة "عرش" أولا وذهب إلى القول بأنه ليس المراد من العرش شيئ مادي مسطوح بل هو كناية عن قدرة الله عزوجل واقتداره، وذلك في تفسير قول الله عزوجل: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ..."[14]. قال المؤلف: "فيه بيان علم الله وبعده بيان القدرة، وقول الله عزوجل: "وكان عرشه على الماء "جملة معترضة وقعت في جواب السؤال المقدر أن ما هو الشيئ الذي كان موجودا قبل خلق السماوات والأرض؟ فأجاب أن الماء كان موجودا قبل خلق السماوات والأرض.

لا نستطيع أن نفهم ما المراد من الماء هذا، أهو الماء الذي نعلمه اليوم باسمه، أم هي إستعارة استعملت لحالة المائية للمادة؟

([12]) القرآن 6 : 158.

([13]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 370.

([14]) القرآن 11 :7 .

ونفهم من هذه الآية أن الحكم الإلهي كان على المآء وليس المراد من العرش شيئ مادي مسطوح، بل المراد منه "الحكومة الإلهية"[15].

وكذلك يرى أن العرش استعارة لحكم الفعلي لله تعالى على السماوات والأرض وذلك يقول في تفسير قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[16]. قال: "يعني ليس هو خالق لهذا الكون فقط، ما نام بعد خلق السماوات والأرض، بل يدبره، وهو حاكم بالفعل" [17].

ويطيل الكلام لتعين المفهوم لبعض الصفات الالهية في تفسير قول الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ..." [18] . فذكر الشيخ رأيه فقال: "علينا أن نفهم هذا أن الصفات والأفعال التي استعملت في القرآن الكريم كصفات إلهية، فهي أكثرها تستعمل للمخلوق، مثلاً صفات السميع والبصير فيطلق هذه الصفات على الإنسان أيضا، فإذا نستعمل صفة البصارة والسماع للإنسان فمعنى ذلك أنه ذو العينين يرى به بهما ذو الأُذنين يسمع به بهما، هناك شيئين؛ الأول: الآلة التي يقال لها العين وهي ذريعة للبصارة ومبدئها، والثاني: الغاية أو نتيجة البصارة وهو علم الذي يحصل من الرؤية بالأبصار، فإذا قال للإنسان أنه بصير فالمراد منها المبدء والغاية كليهما، وكذالك نعلم هذه الكيفيات بالسهولة. وإذا يطلق هذا على الله تعالى فالمبدء والكيفية الجسمانية ليست مرادة على اليقين لأنها من صفات المخلوق، فنعتقد ألبتة على أن مبدأ البصارة موجودة في ذاته الأقدس ونتيجتها التي تحصل من الرؤية. وهو العلم، فهو موجود في ذاته على درجة الكمال، ولا نعلم كيفية بصارته، لأن بصارته ليس كبصارة المخلوق، ونقول "ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير" وعلينا أن نقول في كل الصفات الإلهية على هذه الطريقة، ونعتقد أن هذه الصفات ثابتة له بإعتبار أصله وغايته ولانعلم كيفياته ولا الشرع يكلفنا أن نخوض في المسائل التي ما وراء العقل وبعيدة عن الفهم "يقول لسرير الحكومة، أو لمكان رفيع العرش ثم يتأول المؤلف صفة "استوائه تعالى على العرش" حيث يقول : "وأكثر المحققين على رأي" أن المراد من استوى على العرش هنا الإستقرار والتمكن، ومعنى ذلك لا يستطيع أحد أن يخرج من تسلطه، ينفذ الله تعالى قدرته وقوانينه على الجميع بالكمال، يعني بعد خلق العلويات والسفليات له قدرة كاملة أن يتسلط عليه ويتصرف فيه ما يشاء وأشار إليه في مقام آخر بقوله "يدبر الأمر" [19].

([15]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 532.

([16]) القرآن 20: 5.

([17]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 2، ص: 19.

([18]) القرآن 7 : 54.

([19]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 387.

وقد يتأول الشيخ كلمة "العين" الواردة كصفة الله تعالى في قوله: "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ"[20]. فقال الشيخ: قوله تعالى "بأعيننا" هو التعبير وكناية الحفاظة والرعاية في المحاورة. ذكر العين لتضمنها معنى الرعاية، ومعنى قوله تعالى: "واصنع الفلك بأعيننا" أي برعاية منا وحفظ [21].

هذه المقولة ذكرها الشيخ باللغة العربية ولا يترجمها إلى البشتو، وبعد ذكرها كتب في الأخير فقط إسم "أبو البقاء" ولم يقل الشيخ سوى ذلك من مصادر هذا القول. ففي الأصل قد اختلف العلماء في هذه المسألة قال ابن حجر ناقلاً قول الإمام البيهقي الذي يقول في هذه المسألة: "من العلماء من قال العين صفة ذات، ومنهم من قال المراد بالعين الرؤية فعلى هذا فقوله "لتصنع على عيني"[22]. أي لتكون بمراي مني وكذا قوله "واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا"[23] أي "بمرآء منا والنون للتعظيم"[24].

وكذلك انتهج الشيخ منهج المتأخيرين في تأويل قوله تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" [25]. نراه يقول: "ذكر الله تعالى إستعارة يد اليمين لتصور الإقتدار الكامل لله تعالى على السماوات والأرض، كما ليس مشكل للإنسان أن يمسك شيئ حقير في اليمين ويعده من أسهل الأعمال، وسيرى الذين قصر عقلهم عن إدراك عظمة الله وكبريائه في هذه الدنيا ، فإنهم يرون بأعينهم أن السماوات والأرض يكون في قدرة الله وقبضته كشيء حقير يوم القيامة" [26].

اختلف العلماء أن صفة اليمين لله تعالى المذكور في هذه الآية حمل على الحقيقة أو نأخذ معناه المجازي في هذا الموضع، يرجح الإمام فخرالدين الرازي أن المراد منه المجاز وليس يصح حمله على الحقيقة، حيث يقول بعد ذكره لآراء العلماء في هذه المسألة بالتفصيل: "ولنرجع إلى الطريق الحقيقي فنقول لا شك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الأعضاء والجوارح، إلا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى، فوجب حمل هذه الأعضاء على وجوه المجاز، فنقول إنه يقال فلان في قبضة فلان إذا كان تحت تدبيره وتسخيره" [27].

مسألة رؤية الله تعالى ومنهج الشيخ سلطان محمود:

تناول الشيخ المسائل المختلفة الكلامية في تفسيره ، وخاصة المسائل التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة وغيرها من الفرق ، فيدافع الشيخ عن عقيدة أهل السنة وينقل أقوال مخالفيهم

([20]) القرآن 11: 37.

([21]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 543.

([22]) القرآن سورة طه: 39

([23]) القرآن 52: 48

([24]) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج: 13، ص: 3329.

([25]) القرآن 39: 67

([26]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 2، ص: 508.

([27]) انظر لمزيد التفصيل: الرازي، فخر الدين، تفسيرالكبير، تحت تفسير هذه الآية.،ج13،ص283

ويرد عليهم، ومنها مسألة روية الله تعالي. اتفقت المعتزلة[28] على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار[29] ورأي المعتزلة هذا مخالف لأهل السنة والجماعة، فيثبت الشيخ عقيدة أهل السنة. يقول المفسرعند تفسيره للآية الكريمة ناقلا باللغة البشتو من تفسير القرآن العظيم للشيخ شبير أحمد العثماني:"لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" [30]. "معنى الآية ألا يوجد في العين قوة أن يدرك الله تعالى، والله تعالى إن أراد أن يعطي هذه القوة للعين بفضله فبعد ذلك هذا ممكن، كما أن المؤمنين يرونه في الآخرة، وهذا ثابت من نصوص الكتاب والسنة، وكما أن النبي صلى الله علسه وسلم رآه في المعراج بناء على روايات مختلفة، وأما المواضع فلا يوجد عليه النص، فعلى أساس هذه القاعدة العامة علينا أن نعتقد على نفي الرؤية". ولكن قال بعض المفسرين من السلف: "الإدراك هو الإحاطة؛ يعني لا يستطيع العين أن يحاط به وفي الآخرة رؤية وليست الإحاطة، والله تعالى شأنه أنه أحاط على كل الابصار والمبصرات"[31].

وكذلك قال في تفسير قوله تعالى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ"، "إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"[32]."والمراد منه تشرف المؤمنين برؤية الله في الجنة"[33].

منهج الشيخ سلطان محمود في بيان مسألة خلق أفعال العباد:

رأى المعتزلة بأن "العبد هو خالق أفعال نفسه وهو المجازي على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك" [34]، والشيخ سلطان محمود يرد على هذا الرأي. فيقول في تفسيره لقول الله عزوجل: "وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [35]. "إن ترتب الإرادة الإلهية منحصرة على عزم العبد، ومعنى "من الله" أي في مقابلة قانون التكويني لله تعالى. وقوله تعالى "أن يطهر قلوبهم" أي من الكفر لأنهم لا يعزمون تطهيره، ومعنى ذلك أن حال هؤلآء الناس أنهم لم يكونوا عازمين لإصلاحهم، بل يصرون على الضلال، فهذه من عادات إلهية التكوينية أن العبد إذا يعزم على الفعل فالله تعالى يخلق الفعل، ولا يستطيع أحد أن يمنع هذا القانون التكويني. وفي هذه الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وردٌ على رأي المعتزلة لأنهم رأوا: "أن العبد خالق لأفعاله بخلاف عقيدة أهل السنة والجماعة على أن خالق أفعال العبد هو الله تعالى" واستدلوا أهل السنة والجماعة بقوله تعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ"[36]. يعني خالق الخير والشر

([28]) هي: فرقة كلامية اسلامية ظهرت في أُخريات القرن الأول الهجري، وبلغت شاؤها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وللمعتزلة أُصول خمسة يدور علها مذهبهم وأهمها العدل والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الموسوعة الميسرة، ج: 2، ص: 8،7.

([29]) انظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج: 1، ص: 49، ط2: 1997م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

([30]) القرآن 6: 103

([31]) تفسير وضاحة القرآن، ج:1، ص: 350.

([32]) القرآن 75: 22، 23

([33]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 3، ص: 916.

([34]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج: 1، ص: 51.

([35]) القرآن 5: 41

([36]) القرآن 37: 96

وخالق أفعال العبد سواء البر والإثم هو الله تعالى، وهذا التخليق تابع ومرتب على عزم العبد سواء عزم على الخير أو عزم على الشر [37].

نقل الشيخ هذه العبارة باللغة البشتو من تفسير القرآن الكريم للشيخ عبد الماجد دريا آبادي، كما هو المنهج العام للشيخ سلطان محمود في تفسيره بأنه أحياناً ينقل أقوال علماء السلف والخلف وبالأخص علماء المفسرين، ولكن في اللغة البشتوية.

منهج الشيخ سلطان محمود في بيان الأمور المتعلقة بالنبوات:

إثبات النبوة: يثبت الشيخ سلطان محمود النبوات، وذكر بأن النبوة والرسالة لا تحصل بالكسب والرياضة وإنما تحصل بفضل الله تعالى وكرمه بأن يصطفى أحد من عباده لتبليغ رسالته وهو شيءٌ وهبيٌ والاختيار كله بيد الله، وذلك في تفسير قول الله تعالى: "وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ..." [38].

قال: معنى قوله تعالى "ألله يعلم حيث يجعل رسالته" أن للرسالة موضعاً مخصوصاً لا يصلح وضعها إلا فيه، فمن كان مخصوصاً موصوفاً بتلك الصفات التي لأجلها يصلح وضع الرسالة فيه كان رسولاً وإلا فلا، والعالم بتلك الصفات ليس إلا الله تعالى. فهذه المطالبة من جانب الكفار شيئ بعيد عن العقل، وعلمنا من هذه الآية أن الرسالة والنبوة ليست شيئاً كسبياً يحصل بعد الرياضة أو تحصل بالجاه والمال، بل هو أمر وهبي فقط" [39].

وكذلك يذكر ويشرح الصفات التي وصف بها الله تعالى الأنبياء في كتابه العزيز، مثلا يقول في تفسير قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ " [40]. اختص الله تعالى الأنبياء بثلاثة أشياء؛ الأول: الكتاب؛ يعني الهداية من عند الله تعالى. والثاني: الحكم؛ يعني الفهم الصحيح لهذه الهداية والقابلية الوهبية لإنطباق هذه الهداية أو الأُصول على معاملاة الحياة، وقابلية الرأي الصحيح في مسائل الحياة. والثالث: النبوة؛ يعني مرتبة النبوة التي يرشد بها النبي عباد الله إلى هذه الهداية [41]. نقل الشيخ هذه العبارة باللغة البشتو من تفسير تفهيم القرآن للسيد أبي الأعلى المودودي.

إثبات المعجزات:

([37]) تفسير وضاحة القرآن، ج:1، ص: 296.

([38]) القرآن 6: 124

([39]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 357.

([40]) القرآن 6: 89

([41]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 346.

المعجزة لغة من العجز وفي الاصطلاح: "هو أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله" [42].

والشيخ سلطان محمود يتناول في تفسيره البحوث المفيدة المتعلقة بالمعجزات، ويشرح معجزات الانبياء عليهم السلام، ناخذ بعض الأمثلة بالإيجاز عن تفسيره ليتضح لنا منهج الذي سلكه في هذا الجانب؛ مثلا في تفسير قوله تعالى: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ"[43]، يشرح الشيخ معجزة ابراهيم عليه السلام شرحاً وافياً مع اختصار عبارته ويقول المؤلف ناقلاً من تفسير "موضح القرآن": "برودة النار معجزة عظيمة أظهرها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، وحقيقة المعجزة أن الله تعالى يقطع السبب من المسبب أو المسبب من السبب على خلاف عادته العامة. هناك سبب الإحراق موجود، هو النار، ولكن ما ترتب عليه المسبب"[44].

وكذلك في تفسير قول الله عزوجل: "وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ"[45]، يشرح الشيخ لنا بأن ظهور المعجزة ليست في إختيار الأنبياء عليهم السلام، ويقول ناقلاً من تفسير "ماجدي": "في هذا الموضع بيان أن الأنبياء عباد وبشر ولا إختيار لهم أن يأتوا بآية إلا بإذن الله، بل لا يعلمون وقوع المعجزة وعدم وقوعها، لأن هذا العلم متعلق بأمورالغيب لا يعلمه إلا الله تعالى. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: كما أنتم لا تعلمون وقوع الآية وعدم وقوعها فأنا مشترك معكم في عدم العلم، فإن كل شيئ يظهر من حجاب الغيب فأنا في مقام أنتم عليه، نحن مشتركون في الانتظار، وأن طهور المعجزات بيد الله تعالى وقدرته"[46].

إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم:

قد تناول الشيخ سلطان محمود في تفسيره البحوث المفيدة المتعلقة بإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي تفسيره الدلائل الكثيرة النقلية والتاريخية والعقلية على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والشيخ أحيانا ينقل النصوص من التوراة والأناجيل الموجودة الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، كما فعل ذلك في تفسير قول الله عزوجل: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ..."[47]. فيقول: "الأمي، إما منسوب إلى الأُم يعني هذا الشخص ولد من الأُم ولم يتعلم من أحد ولم يتلمذ لأحد إلى آخر عمره، ولكن مع هذه الأمية هو منبىء العلوم والمعارف. ثم يفسر قوله تعالى: "يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ". ويقول: "ومع أن أهل الكتاب حرفوا التوراة والإنجيل ولكن يوجد فيه نصوصا سلمت من يد التحريف وهي دالة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتبشرعلى بعثته، وجاء في التوراة: "أُقيم لك الرب نبياً ومن وسط إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبتُ من الرب في حُوريب (أي جبل الطور

---

(42) التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص: 98، المكتبة الهندية، باكستان.

(43) القرآن 21: 69

(44) تفسير وضاحة القرآن، ج: 2، ص: 60.

(45) القرآن 10: 20

(46) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 500.

(47) القرآن 7: 157

حين المناجاة) (استثناء 18: 15) وقال في موضع: "قال لي الرب أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعلُ كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به "(استثناء 18: 19) فدلّ هذا على أن هذا النبي من غير بني إسرائيل لقوله: "من وسط أخوتك "فإن الخطاب لبني إسرائيل، ولا يكونون إخوة لأنفسهم. وإخوتُهم هم أبناء أخي أبيهم: إسماعيل أخي إسحاق، وهم العرب، ولو كان المراد به نبياً من بني إسرائيل مثل (صمويل) كما يؤوله اليهود لقال: من بينكم أو من وسطكم، وعُلم أن النبي رسول بشرع جديد من قوله: "مثلك" فإن موسى كان نبياً رسولاً، وفي الإنجيل بشارات جمة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفي بعضها التصريح بأنه يبعث بعثة عامة، ففي إنجيل متّى في الإصحاح الرابع والعشرين: "يقوم أنبياء كذَبةٌ كثيرون ويُضلون كثيرون، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى (أي يدوم شرعه إلى نهاية العالم) فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى"(أي منتهى الدنيا)، وفي إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر "إما المُعزّي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلتُه لكم" (ومعنى باسمي أي بمماثلتي وهو كونه رسولاً مشرعاً لا نبيّاً موكداً).

وأيضا قال: "أنا أطلب من الأب (أي من ربنا) فيعطيكم (فارقليط) آخر ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه". ثم قال: "وأما الفارقليط الروح القدس الذي سيرسله الأب (الله) باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"، أي في جملة ما يعلِّمكم أن يذكركم بكل ما قلته لكم..."[48]. هذا ما اختصرته من كلام الشيخ، فإن الشيخ نقل نصوصاً كثيراً من التوراة والإنجيل من تفسير "ماجدي" تدل على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

عصمة الانبياء:

قد دافع الشيخ عن الأنبياء ونزههم عن التلوث بالمعاصي، ويؤكد عصمتهم صلوات الله عليهم وسلامه في مواضع كثيرة في تفسيره فمثلا عند تفسيره لقول الله عزوجل: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"[49]. يقول المؤلف ناقلاً عن تفسير تفهيم القرآن بعد فراغه من الرد على أهل الشرك: "أشار الله تعالى أولا إلى قصة آدم وحوا، ثم إلتفت الخطاب من الخاص إلى العام كما هو طريقة ممتازة للقرآن الكريم، وذكر قصة المرء وزوجته أنهما دعا إلى الله تعالى أن يعطيهما ولدا صالحا، فلما آتاهما جعلا له شركاء في ما آتاهما، فظن الناس أن المراد منهما آدم وحوا، وأن الضمير في "جعلا" راجع إليهما، يوصنفوا كدليل لهذه الدعوى الباطلة قصة واهية طويلة، وهي قصة إسرائيلية التي لا تليق بشأن آدم نبيا عليه السلام وهي مخالفة لعقيدة عصمة الأنبياء عليهم السلام، واليهود ماهرين في إيجاد مثل هذه القصص البعيدة عن الفهم"[50].

رؤياء الأنبياء:

([48]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 412.

([49]) القرآن 7: 189

([50]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 1، ص: 424.

يثبت الشيخ أن رؤياء الانبياء صدق وحق، وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا"[51]، نراه يقول: "ذكر في إبتداء السورة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤية قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا، فقص الرؤيا على أصحابه ولم يعين لهم وقتاً، ففرحوا وحسبوا أنهم دخلوها في عامهم هذا، فلما وقعت الصلح ورجعوا بغير العمرة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلقنا ولا قصرنا ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعين لهم وقتا ولكن الإشتباه باقية في بعض الأذهان فنزلت هذه الآية ردا على هذه الشبهة والتثبيت أن رؤياه صادقة وليست من قبيل الأضغاث والأحلام [52].

منهج الشيخ سلطان محمود في بيان الأُمور المتعلقة بالسمعيات:

السمعيات هي ما لا طريق لمعرفتها إلا الكتاب والسنة، والأصل في وصولها إلينا السماع فقط، أو مع القراءة، فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم ويجب الإيمان به كحقيقة الملائكة والجن والروح، واليوم الآخر والجنة والنار إلا بالمعرفة عن الكتاب والسنة [53]. وقال السفاريني: "اعلم أن المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع من الكتاب، أو السنة، والآثار ما ليس للعقل فيه مجال، ويقابله ما يثبت بالعقل وإن وافق العقل فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والنظريات..." وقال مثل ذلك في قضايا النبوات: "وهي الأُمور الإعتقادية الماخوذة عن السماع من الصادق صلى الله عليه وسلم [54].

ومن هنا يجب علينا أن ننبه أن السمعيات، وإن كان عمادها السماع من الصادق صلى الله عليه وسلم إلا أن ذلك لايعني تعرفها عن الادلة العقلية فهي مسموعة ومشفوعة بأدلتها، وإذا كان اليوم الآخر ومشاهده من العقائد المسموعة، فإن إثبات البعث قد جرى على طريق الإستدلال المتين فالقرآن الكريم حين يعرض لهذه القضية يثبتها بأقوى الأدلة وأمتنها وأحقها بالقول.

1) وزن الأعمال: إن وزن الاعمال يوم القيامة حق كائن بالعدل، وهوثابت بالقرآن الكريم والسنة المشرفة. وقد اختلف العلماء في كيفية الوزن بعد إتفاقهم على وقوعه يوم القيامة، يقر الشيخ سلطان محمود هذا ويثبته، مثلاً يقول في تفسير قول الله عزوجل: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" [55] ذكر الله تعالى "الموازين" الجمع لوجهين، أحدهما: إما أن يكون لكل شخص ميزان توزن بها عمله، وثانيهما: أن يكون ميزان واحد توزن بها الأعمال لجميع الخلق، ولهذا هو قائم مقام التعدد. لا نستطيع أن نفهم نوعية هذا الميزان، ولكن على أية حال هو شيء توزن بها أخلاق الإنسان وأوصافه

([51]) القرآن 48: 27

([52]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 3، ص: 681

([53]) حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ص: 65، ط: 1980م، الاتجاه الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية دار القرآن الكريم، كويت.

([54]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطح الأسرار الأثرية، ج: 2، ص: 30، ط1: 1989م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

([55]) القرآن 21: 47

وأعماله، فإذا كان الإنسان صالح العمل فتوزن اعماله لكي يعلم إلى أي حد هو صالح، وإذا كان فاجرا فتوزن حد فجوره، إختار الله لها من لغتنا إسم الميزان فهو شيئ يشبه نوعيته بالميزان. إلا هنا نقل هذه العبارة من تفسير تفهيم القرآن. ثم يقول: "وفي زمن الماضي يأتي أمام الناس هذا إشكال، أن كيف توزن أعمال الإنسان وهي أعراض؟ ولكن اختراعات اليوم مثل الترمومتر (ميزان الحرارة) توزن بها حرارة البدن، وعداد الكهرباء (الذي هو مقياس الكهرباء) وآلة مسجل الصوت (التي تحفظ بها الاصوات) ومقياس الهوا (مقياس الضغط الجوي) دفع إشكال الناس، بأن الإنسان العاجز الضعيف إذا استطاع أن اخترع هذه الأشياء، فماذا مشكل على الله القادر المطلق إيجادها" [56].

2) عذاب القبر أو البرزخ: قال الإمام التفتازاني: وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين وتنعيم اهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله تعالى ويريده، ثابت بالدلائل السمعية"[57]. وقال عبد القاهر البغدادي: بعد ذكره لمسائل الحوض والميزان: "وسؤال الملكين في القبر وطريق إثبات ما ذكرناه من هذه المسألة الأخبار المستفيضة التي أجمع أهل النقل على صحتها، ولا اعتبار بخلاف من ليس الحديث في صفته بعد ثبوت جواز ذلك كله في العقل [58]. وبعد ذلك يتطلب المقام أن نذكر موقف الشيخ سلطان محمود في هذه المسألة ونتبين منهجه في تفسيره في ضوء المثال كما يقول الشيخ في تفسير قول الله عزوجل: "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ"[59]. "وهذه الآية دليل صريح على إثبات عذاب البرزخ الذي جاء ذكره في الأحاديث بعنوان "عذاب القبر". ذكر الله تعالى مرحلتين لعذاب الفرعون وآله بألفاظ واضحة، أحدها: قبل إتيان يوم القيامة يعرض العذاب على فرعون وآله غدوا وعشياً ويريهم جهنم، أن هذا مقام دخولكم، فإذا يأتي يوم القيامة يعذبهم الله عذاباً شديداً قدره الله لهم، وهذه المعاملة ليست خاصة بفرعون وآله بل شامل لكل المجرمين، يرون العذاب من وقت الموت إلى يوم القيامة"[60].

3) نفخ الصور: يثبت الشيخ نفخ الصور يوم القيامة وذلك في تفسيره لقول الله عزوجل: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"[61]. فيقول الشيخ ناقلاً من تفسير تفهيم القرآن: "هناك ذكر النفخ في الصور مرتين، وفي سورة النمل ذكر نفخ الصور الأُخرى من دونهما الذي يفزع مخلوقات السماوات والأرض بسماعه، ولهذا السبب ذكر في الأحاديث الشريفة نفخ الصور ثلاث مرات؛ الاولى: وهي نفخة الفزع، والثانية: يعني نفخة الصعق وهي نفخة الموت، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يعني يحيون الناس ويخرجون من القبور ويحضرون أمام ربهم للحساب"[62].

([56]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 2، ص: 55، 56.

([57]) شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، ص: 76، 77.

([58]) عبد القاهر، أبو منصور، كتاب أُصول الدين، ص: 246.

([59]) القرآن 40: 46

([60]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 3، ص: 530.

([61]) القرآن 39: 68

([62]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 3، ص: 509.

4) إثبات البعث: إن الاعتقاد بالبعث والنشور أصل من أُصول الإيمان، وبه تصلح حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، والشيخ سلطان محمود يثبت صحة البعث والنشور بثلاثة وجوه وذلك في تفسيره لقول الله تعالى: "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ" "إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ"[63]. فقال الشيخ: "في الآية الأُولى دليل على إمكان القيامة وهو أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على خلق الناس مرة ثانية بعد الموت، لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس بدأ وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادرٌ على ما دونه بطريق الأولى والأخرى. وفي الآية الثانية والثالثة دليلٌ على وجوب القيامة، يعني أن إتيان القيامة أمر لا بد منه وعدم إتيانه خلاف العقل والعدل، لأن أي شخص عاقل لا يسلم هذا الأمر أن الشخص الذي عاش في هذه الدنيا عميا وملء أرض الله من الأخلاق الرذيلة والفساد لا يرى نتيجة أعماله السيئة، وكذلك الذي عاش في الدنيا على وجه البصيرة وعمل الصالحات لا يرى نتائج أعماله الصالحة؟ ويحرم من أجره، هذا القول على الصرحة مخالف للعقل والعدل فعلمنا أن عقيدة إنكار البعث أيضا خلاف العقل والعدل على الصراحة. وفي الآية الرابعة دليلٌ قطعيٌ على وقوع القيامة وهذا الدليل صدر من منبت الوحي لأنه لا يستطيع أحد أن يبين هذا على وجه القطع واليقين سوى الوحي، وأن الله تعالى يعلم وقت إتيانها وأن العقل لا يستطيع أن يقول سوى ذلك أن إتيان القيامة ممكن أو إتيانه ضروري فقط"[64].

5) ظهور الدابة: يثبت الشيخ ظهور الدابة قبل وقوع القيامة وذلك في تفسيره لقول الله عزوجل: "وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآَيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ"[65]. وقال الشيخ في تفسير هذه الآية: "خروج الدابة من علامات الكبرى ليوم القيامة، وعلمنا من بعض الروايات أن هذا الخروج سيكون في آخر الزمان الذي تطلع فيه الشمس من المغرب. والمقصود من خروج الدابة في رأينا والله أعلم: أن يكون حجة على الناس بأنهم أنكروا عن الحق الذي دعا إليه أنبياء عليهم السلام، ولكن اليوم يؤمنون به على دعوة الحيوان، ولكن هذا الإيمان غير نافع لهم. وهذا غير واضح أن هذه الدابة حيوان واحد أو هو جنس من الحيوان تنتشر أفراده في الدنيا كلها، وهذه الدابة تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وماهية هذه الدابة وشكلها وصورتها وغير ذلك من التفصيلات ذكرت في الروايات المختلفة المتضادة فيما بينها التي لا فائدة لنا في معرفتها، وكذلك لا تتعلق هذه الروايات بالمقصد الأساسي الذي يبينه القرآن الكريم من خروج الدابة"[66].

6) مسألة ارتكاب الكبائر ومنهج الشيخ سلطان محمود: قالت الخوارج: على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة؛ خرج به عن الإسلام جملة، يكون مخلداً في النار مع سائر الكفار وكذلك يقول المعتزلة أن المؤمن إذا مات من غير توبة عن كبيرة ارتكبها: "استحق الخلود في النار؛ لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار"، وسموا

([63]) القرآ، 39: 57، 58، 59.

([64]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 3، ص: 533.

([65]) القرآن 28: 82

([66]) تفسير وضاحة القرآن، ج: 2، ص: 233.

هذا النمط وعداً ووعيداً [67]. والشيخ يرد على هذه الفرق فيقول في تفسيره لقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"[68]. ففي الآية دليل على خلود الكفار والمشركين فيها وأنهم لا يخرجون منه، والمتبادر في أمثاله حصر النفي في المسند إليه نحو "وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الذين ءامَنُواْ"[69] وقوله تعالى "وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ"[70] ففيه إشارة إلى عدم خلود عصاة المؤمنين الداخلين في قوله تعالى: "والذين ءامَنُواْ أَشَدُّ حُبّا لِلَّهِ"[71] في النار، بخلاف قول المعتزلة والخوارج"[72]. وكذلك قال في تفسير قوله تعالى: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"[73]. فقال الشيخ: "إن معنى المتبادرة للخلود الأبد، وهذه خاصة الكافر، فلهذا الوجه قال بعض المفسرين أن الخلود في النار لمن يستحل قتل المؤمن، ومعناه أن هذه جزاء كاملة لمن يقتل مؤمنا متعمدا، فإن يخرجه من جهنم فمن فضل الله، ولا يوجد منعه، كما للمشرك، ولكن في رأينا المراد منه من قتل مؤمنا متعمدا وهو جرم مباشر كبير وهذا مناسب بالسياق وقرين إلى القياس، والمراد من الخلود هنا زيادة الزمن ولا يراد منه الأبدية، لأنه لايوجد معه لفظ "أبداً" كما قال في جزاء جرم الزنا "ويخلد فيه مهانا" والحال أن القتل جرم أكبر من جرم الزنا فلهذا الوجه أضاف عليه الغضب واللعنة، وولكن بأية جال أن التأبيد في النار خاصة الكافر"[74].

ويرد على المعتزلة في تفسير قول الله عزوجل: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" [75].

قال المؤلف: "المراد من أُولئِك الذين المحرومون من الإيمان ويفهم من هذا اللفظ مفهوم الحصر فلهذا الوجه استدل أهل السنة بخلاف المعتزلة أن الخلود في النار للكفار فقط وليس لعصاة المؤمنين، قال الإمام الرازي: "ولما أفادت هذه الكلمة معنى الحصر ثبت أن الخلود في النار ليس إلا للكافر " [76].

نتائج البحث:

من خلال هذا المقال قد وصلنا إلى النتائج التالية:

([67]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص3

([68]) القرآن 2: 167

([69]) القرآن 11: 29

([70]) سورة هود: 91

([71]) القرآن 2: 165

([72]) تفسير وضاحة القرآن، ج1، ص64. وانظر: الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحت هذه الآية، بتحقيق: علي عبد الباري عطية، ط: 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

([73]) القرآن 4: 93

([74]) تفسير وضاحة القرآن، ج1، ص243

([75]) القرآن 3: 10

([76]) انظر: تفسير وضاحة القرآن، ج1، ص165، وتفسير الكبير، للإمام الرازي، تحت هذه الآية.

1. العقيدة هي أساس الدين، وقواعد الايمان وأركانه، وأحكام أصلية للشريعة الإسلامية التي إذا صحت صلح عمل الإنسان واستقام أمره ونال السعادة في الدنيا والآخرة، وإذا فسدت فسد كل شي، وقد سماها السلف "الفقه الأكبر".
2. أثبت الشيخ في تفسيره الصفات لله تعالى؛ وهي ما جاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، وللسلف في هذه المسألة مذهبان؛ التفويض والتأويل، أما منهج الشيخ في هذا الجانب أنه يفوض أحيانا معنى هذه الصفات الخبرية إلى الله تعالى، وأحيانا يؤول فيها؛ حتى نرى منهجه "بين التفويض والتأويل".
3. رأى المعتزلة في مسألة تخليق أفعال العباد "العبد هو خالق أفعال نفسه وهو المجازي على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك"، ولكن الشيخ سلطان محمود قد ردّ على رأي المعتزلة واتبع على رأي أهل السنة والجماعة.
4. تناول الشيخ سلطان محمود في تفسيره البحوث المفيدة والقيمة المتعلقة بالمعجزات، ويشرح معجزات الانبياء عليهم السلام.
5. اعتمد الشيخ في بيان المسائل العقدية على آراء السلف من المفسرين والمحدثين وغيرهم من كبار العلماء، وقد أيد آراءه بأقوال الخلف من المفسرين مثل تفسير معارف القرآن للشيخ عبد الماجد دريا آبادي، وتفهيم القرآن للشيخ السيد أبي الأعلى المودودي وغيرهما من علماء عصرنا الراهن.
6. انتهج الشيخ بأنه ينقل أقوال العلماء في المسألة، ولكنه لم يقم في بعض المواضع بترجمة قول القائل إلى اللغة البشتو، وكذا يذكر القول بدون ذكر مصدره ولا اسم قائليه.
7. انتهج الشيخ بأنه يقوم الترجيح بين الأقوال المختلفة؛ وهو منهجه العام الذي يسير عليه في أكثر المواضع بأنه يرد على الأقوال المرجوحة صراحة، وكذلك طريقته أنه يذكر قول الراجح أولاً، ثم يشير بالاختصار إلى القول المرجوح عنده.
8. قدّم الشيخ في المسائل المختلفة الدلائل النقلية والتاريخية والعقلية كما في مسألة إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأحياناً الشيخ ينقل النصوص من التوراة والأناجيل لتأييد رأيه.
9. اهتم الشيخ في المسائل العقدية بأنه دافع كثيراً عن الأنبياء ونزههم عن التلوث بالمعاصي، ويؤكد عصمتهم صلوات الله عليهم وسلامهم في مواضع كثيرة في تفسيره.